بسم الله الرحمن الرحيم

محاضرات في النص الأدبي القديم (شعر)

إعداد الأستاذة : حفيظة رواينية

طلبة السنة الأولى ليسانس ، الأفواج : 5- 6- 7- 8

شعر النقائض

النقائض لغة : النقض يعني : الإفساد والهدم في العقود ، والبناء ، وفي الكلام ، وأصلها من نقض البناء إذا هدمه ، والحبل إذا حله ، وضد النقض الإبرام للحبل والعهد والبناء ، والمناقضة في الكلام أن يُتكلم بما يتناقض معناه ، وفي الشعر أن يأتي شاعر بما يناقض شاعرا آخر في المعنى ، قال الله تعالى : " وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا " سورة النحل ، الآية 92 . وناقضه في الشيء مناقضة ، خالفه

النقائض اصطلاحا : تعني مجموعة من القصائد في الهجاء والفخر تكون بين شاعرين أو أكثر ، ينقض التالي منهم المعاني التي أوردها الأول على نفس الوزن والقافية والموضوع

- وقد تكون بين الشاعر ونفسه ، أو بين الرجل والمرأة ، أو بين امرأتين أو بين الحي والميت أو بين مدرستين ، وتكون شعرا أو نثرا
- وهي " أن يتجه شاعر إلى شاعر آخر هاجيا أو مفتخرا ، فيعمد الآخر إلى الرد عليه هاجيا أو مفتخرا ، ملتزما البحر والقافية والروي الذي اختاره الأول "
- وهذا يعني أن النقيضة ليست قصيدة عادية ، وإنما عبارة عن قصيدة محاطة بجملة من الشروط يجب التزامها وإلا فقدت معناها كنقيضة ، من جملة هذه الشروط ، الالتزام بالموضوع والوزن والقافية والروي الذي جاءت عليه القصيدة سبب النقض .
- وتقوم المعاني فيها على التقابل والاختلاف ، والتكذيب والوعيد والتوجيه والتسليم ، فالشاعر الثاني يرد على معاني الأول ويفسدها

ويزيد عليها أو يقلبها عكس ما أرادها صاحبها أو يكذبها ، أو يوظفها لصالحه .....

- هذه المعاني تستقي مادتها من الأحساب والأنساب والأيام والمآثر والمثالب ...
- تحتوي النقيضة على الشتم والسب ونشر المخازي والسخرية والهجاء اللاذع وضرب العرض والمساس بالحرمات ...
- وقد تتكرر هذه المعاني من نقيضة إلى أخرى

نشأة النقائض

- عرف شعر النقائض منذ العصر الجاهلي ...
- كانت المنافرات والمناظرات والملاحاة (المخاصمة والملاومة) والمعاظمات في العصر الجاهلي شكلا بسيطا من أشكال النقائض ، مدا رها نقض المعنى والمقابلة فيه دون أن تتجاوز ذلك ، وبالتالي لا تتقيد بأصول المناقضة كما عرفت مؤخرا
- جاءت هذه الأشكال ضعيفة النَّفَس ، محدودة الانتشار ، تنتهي بانتهاء النفار أو المعاظمة ، لتظهر مرة أخرى بصور ومعاني ترتبط بالمقام
- وهو ما نجده في المناقضات التي قامت بين امرئ القيس وعبيد بن الأبرص ، وبين عامر بن الطفيل وزيد الخيل ، وبين قيس بن الخطيم وعبد الله بن رواحة و حسان بن ثابت....الخ
- وأكثر الأغراض الشعرية استجابة للنفار والمعاظمة والعصبية والإثارة ، الهجاء والفخر .....(شرح)
- نجد النقائض في صدر الإسلام بين شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشعراء الكفار من قريش وغيرها من القبائل العربية الموالية لها ، يردون ويدحضون معاني بعضهم ، يفخرون ويهجون ، بيد أنهم لم يقصروا شعرهم على ذلك ، ولم يتجاوزوا مستوى الرد على المعاني المتطرق إليها من الهجَّاء أو المفتخر

أصبحت النقائض في العصر الأموي لونا شعريا جديدا ، ناضجا ، اكتمل بناؤه وتمت عناصره ورست قواعده على يد فحول شعراء

النقائض في هذا العصر ، وهم جرير والفرزدق والأخطل ، وقد امتدت الملاحاة بينهم زمنا طويلا .....

دواعي ازدهار النقائض

- اشتداد المناحرات السياسية والعصبيات القبلية والمجادلات المذهبية والاجتماعية
- اشتداد التنافس بين الشعراء والمباراة الشعرية من أجل نيل الرفعة والتفوق ، وكسب المال
- انتقال المجتمع العربي من البداوة إلى الحضارة ، ومن نظام الحكم الشوري الجمهوري إلى نظام الحكم الملكي الكسروي ، رافقه تطور في العقلية العربية ، وتحول في أساليب الحياة التي تتطلبها المدنية الجديدة ، ومران ومقدرة على المناظرة والجدل في شؤون السياسة والعقيدة ، الأمر الذي كان يحدث في سوق المربد وظاهر مكة
- حاجة السياسة الأموية إلى نوع خاص من الشعر تجسد في النقائض ، يسندون به ملكهم وينشر مثالب خصومهم ، ويصرف الناس عن منافستهم سلطة الخلافة
- تشجيع الأمويين للشعراء بإغداق الأموال عليهم ، وميلهم وتقديمهم لشعراء دون غيرهم ، خاصة شعراء الحزب الأموي : جرير والفرزدق والأخطل أقطاب شعر النقائض ، حيث غفل الأمويون متعمدين عما كان يجري بين هؤلاء الشعراء وغيرهم من تراشق بالقول وتهاجٍ بالمثالب وتفاخر بالأنساب والأحساب ، وتفاحش في الأعراض
- أما السبب الظاهر في استعار التهاجي بين شعراء النقائض المعروفين فهو " أن شاعرا من عشيرة سليط اليربوعية يسمى غسانا هجا جريرا فسقط عليه بهجاء مرير ، فاستغاث منه بالبعيث المجاشعي فأغاثه ...فانصب جرير عليه وعلى مجاشع شُواظ نار ، وأفحش بنسائهم إفحاشا شديدا جعلهن يستغثن منه بالفرزدق ، وكان معروفا بإقذاعه في الهجاء ...ووجدنه عاكفا على حفظ القرآن الكريم ... وظللن يوردن عليه ذلك حتى أحفظنه ، فهجا جريرا ، واستطار

الهجاء بينهما وامتدا به لا إلى عشيرتهما فحسب ، بل أيضا إلى قيس وتغلب وتميم " (العصر الإسلامي ، شوقي ضيف ، ص 243)

- وانقسم الناس بعدها إلى جريري وفرزدقي ، كلٌّ يناصر شاعره ويستفز خصمه بالتهليل والتصفيق ...ودخل الراعي النميري والأخطل وشعراء غيرهم - أحصى جرير منهم ، على اختلاف الروايات ، ثمانين رجلا - في هذه الحرب الكلامية ، إلا أن الأمر استصفى - في النهاية - على شعراء النقائض الثلاثة المعروفين والمذكورين أعلاه
- جاءت النقائض تلبية لحاجة المجتمع إلى تزجية أوقات الفراغ ، والتسلية والمتعة واللجاجة ، ولهذا ضمت المجالس نفسها أصحاب النقائض ،وكانوا على ود وتواصل وتراحم ، ومع مرور الزمن لم يعد الفحش والإقذاع والسخرية في النقيضة يثير العداوة والحرب وما شابه، وما يؤكد هذا الأمر شفاعة جرير للفرزدق عند هشام بن عبد الملك ، ورثاؤه عند موته

.....شرح وإضافة

مقومات وسمات شعر النقائض

- تقوم النقائض على تقارب الموضوع أو اتحاده بين كل نقيضتين أو أكثر
- نظمت في كل أغراض الشعر العربي ، وخصت منه غرضي الهجاء والفخر ....
- يقوي عرى النقائض الجدل والملاحاة (المخاصمة والملاومة) ....
- يلتزم شعراء النقائض الوزن الواحد والقافية الواحدة ، مع بعض التنويع الذي يقع أحيانا على حركة الروي ، أو عدم التزام الوزن مع لزوم القافية ، أو العكس
- تأثر شعر النقائض ببعض الصور والألفاظ والمعاني الإسلامية كالإشارة إلى بعض القصص القرآني ، والصلاة ، والحساب ، والصوم ، وقصة يأجوج ومأجوج ، وقصة نوح مع ابنه ، وما يتعلق ببلاد الإسلام كالخلافة والإمامة .....

- تحري الألفاظ الدالة على الصور الحقيقية للمهجو ، يقول أحمد الشايب : " هؤلاء الفحول [يقصد الفرزدق وجرير والأخطل] يؤدون العورات بألفاظها الحقيقية دون مواربة ، بل يختارون من أسمائها أدلها على الفحش وأقربها إلى الابتذال " (تاريخ النقائض ، ص 416)
- تتميز النقائض بالخيال الخصب في ابتكار الصور وتنويعها وتوليدها استجابة لأهداف شعراء النقائض المتعددة ....
- تقوم النقائض على استقصاء المعاني بالحفر في تاريخ القبائل والأنساب والأحساب والدين والشعر والشمائل والمواقف والمثالب والمخازي لينشروها بين الناس تسلية واستمتاعا ، وبذلك يخالفون الروح الإسلامي الذي يدعو إلى ستر العورات وصون الأعراض ، كل هذا يجري في غفلة متعمدة من ساسة الدولة الأموية ....
- تتميز بتكرار المعاني وترديدها والدوران حولها مما يجعلها تتسم أيضا بالطول والاتساع .....
- تتميز أيضا بالرصانة وجزالة الألفاظ ومتانة الأسلوب ....
- تقوم النقائض على المقارنة والموازنة بين المهجوين ، وذلك بالتعرض لكليهما بالصفات الحسنة أو المذمومة هجاء وفخرا
- نزع فحول النقائض إلى قذف نساء العشائر والأمهات والأخوات ابتغاء اللهو، فهي لا تعدو أن تكون " مناظرة فنية بالشعر في عصبيات القبائل والعشائر " ، وقد نالت أم جرير وأخت الفرزدق أذى كثيرا في هذا الشأن (العصر الإسلامي ، شوقي ضيف)
- ميل أصحاب النقائض إلى رسم صور كاريكاتورية ساخرة للمهجو بغية التنديد عليه وعلى قبيلته ، ولهذا لم يفوتوا فرصة لاقتناص كل ما يعرّض المهجو للسخرية وإضحاك الحاضرين من سفهاء القوم وعليتهم
- من مقومات النقائض أيضا مواقف الشعراء السياسية ، ومدى قربهم أو بعدهم من ذوي الجاه والسلطان ، تجلى ذلك في تأييدهم للخلفاء ومدحهم وتأليبهم على من عاداهم ، وتحذيرهم منهم ؛ كما فعل الأخطل حين حذر بني أمية من عدوهم " زُفر بن الحارث "

- تقوم النقائض على نقد الدليل بالدليل والحجة بالحجة وتوليد المعاني ، أومخالفتها أو توجيهها أو تكذيبها .....

قيمة شعر النقائض

- أرخت النقائض لحقبة تاريخية مشهورة بالفتن والصراعات والحروب والتلاسن والتراشق بالقول
- أمدت الأدباء والشعراء بثروة لغوية وذخيرة من الصور الشعرية والألفاظ والاستعمالات الخاصة بشعر النقائض حتى قيل لولا الفرزدق لضاع ثلث اللغة العربية
- قدمت صورة واضحة عن عصر بني أمية وسياستهم وتورطهم في اختلال التوازن داخل المجتمع ، يصفها أحمد الشايب بقوله : " كانت مشغلة العصر ، وعماد حياته ، وأداة سياسته ، وصحيفة حياته الأدبية الأصيلة "
- نشطت الساحة الأدبية ، وحركت المتعة الفنية ،ودفعت الناس إلى حفظ الأشعار وروايتها وتداولها
- حافظت على جزالة القصيدة العربية وهيكلها
- أسهمت النقائض بجدلها ومماحكاتها ومنافساتها في إثراء الشعر السياسي الذي يقوم في نضاله على فنون الشعر المتعددة وبخاصة الهجاء والفخر والمدح وهي نفسها فنون النقائض
- حفظت النقائض الكثير من تقاليد الجاهلية في مادة التفاخر كشرب الخمر والسجود للصليب وأكل لحم الخنزير وغيرها ، ممزوجة بالتقاليد الإسلامية والأحداث الاجتماعية ...
- .....

شعراء النقائض

- شعراء النقائض كثيرون لأسباب كثيرة ذُكر بعضها .....
- أما فحول شعر النقائض في العصر الأموي فهم : الفرزدق وجرير والأخطل

- وفي تفضيل وتراتب شعراء النقائض ، نورد طلب هشام بن عبد الملك من خالد بن صفوان التميمي البصري أن يصف له جريرا والفرزدق والأخطل فقال : " يا أمير المؤمنين ، أما أعظمهم فخرا ، وأبعدهم ذكرا ، وأحسنهم عذرا ، وأسيرهم مثلا ، وأقلهم غزلا ، وأحلاهم عللا ، الطامي إذا زخر ، والحامي إذا زأر ، والسامي إذا خطر ، الذي إذا هدر قال ، وإذا خطر صال ، الفصيح اللسان ، الطويل العنان ، فالفرزدق ، وأما أحسنهم نعتا ، وأمدحهم بيتا ،وأقلهم فوتا ، الذي إذا هاج وضع ، وإذا مدح رفع ، فالأخطل ، أما أغزرهم بحرا ، وأفهمهم شعرا ، وأكثرهم ذكرا ، وأهتكهم لعدوه شرا ، الأغر الأبلق الذي إن طَلَب لم يُسبق ، وإن طُلِب لم يُلْحق ، فجرير ، وكلهم ، أصلح الله الأمير ، طويل النجاد ، ذكي الفؤاد رفيع العماد ." (اختلاف الروايات بين : الأغاني والفهرست والمحاسن والمساوئ للبيهقي ، زهر الآداب للحصري .....)
- لكل شاعر محاسنه ومباذله وعيوبه .....
- ولكل مناصروه يقدمونه على غيره من الشعراء ...

نماذج من شعرهم

- تؤخذ النماذج من المراجع ، وهي كثيرة ومتنوعة ومتعددة ، وبخاصة : كتاب النقائض ، وتاريخ النقائض

المراجع :

1- تاريخ النقائض في الشعر العربي ، أحمد الشايب
2- كتاب النقائض جرير والفرزدق ، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري
3- أدب السياسة في العصر الأموي ، أحمد محمد الحوفي
4- العصر الإسلامي ، شوقي ضيف
5- في الشعر الإسلامي والأموي ، عبد القادر القط
6- مراجع أخرى تهتم بالشعر في العصر الأموي